الفصل السابع

مفاتيح النار في الأخلاق

المفتاح الأول :

الغيبة

ـ **الغيبة** : هي الداء العضال ، والسم الذي هو أحلى في الألسن من الماء الزلال ، وقد صارت فاكهة كثير من المجالس غيبة المسلمين ، والولوغ في أعراضهم ، وهو أمر قد نهى الله عنه ونفر عباده منه ومثله بصورة كريهة تتقزز منها النفوس فقال تعالى :

﴿ وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [1] .

ـ وقد بين معناها النبي ﷺ بقوله :

" أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ " قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " ذِكْرُكَ

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١٢ .

أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ " قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ [1] إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : " إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ [2] " [3] .

ـ **فالغيبة إذاً** : هي ذكرك أخاك بما فيه مما يكره .

ـ **سواء أكان في بدنه كقولك** : أعمى ، أعرج ، أعمش ، أقرع قصير ، طويل ، أسود ، أصفر ، ونحو ذلك .

ـ **أو في نسبه كقولك** : أبوه فاسق ، أو خسيس ، أو زنجي أو زبال ، ونحو ذلك .

ـ **أو في دينه كقولك** : متهاون بالصلاة ، لا يحسن الركوع أو السجود ، متساهل في النجاسات ، ليس باراً بوالده ، لا يضع الزكاة موضعها ، لا يتجنب الغيبة ، سارق ، فاسق ، كذاب شارب خمر ، خائن ، ظالم ، ونحو ذلك .

ـ **أو في خُلقه كقولك** : سيء الخُلق ، متكبر ، مراء ، عجول عاجز ، جبان ، ضعيف القلب ، متهور ، عبوس ، خليع ونحو ذلك .

---

[1] أي : أخبرني .

[2] أي : افتريت عليه الكذب .

[3] أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ـ **أو في أفعاله كقولك** : قليل الأدب ، يتهاون بالناس ، لا يرى لأحد عليه حقاً ، كثير الكلام ، كثير الأكل أو النوم ، ينام في غير وقت النوم ، ويجلس في غير موضعه ، ونحو ذلك .

ـ **أو في ثوبه كقولك** : واسع الكم ، طويل الذيل ، وسخ الثوب ونحو ذلك .

ـ **أو في ولده كقولك** : إنه قبيح ، أو دلع ، أو قليل الأدب ، أو ليس فيه تربيه ، ونحو ذلك .

ـ **أو في زوجته كقولك** : تكثر الخروج من البيت ، أو تحكم عليه أو هي عجوز ، أو قبيحة ، أو بذيئة اللسان ، أو لا تحسن الطبخ أو قليلة النظافة في بيتها ، ونحو ذلك .

ـ **أو في خادمه كقولك** : سارق أو قبيح أو قليل الأدب ونحو ذلك .

ـ **أو في دابته كقولك** : عاجزة ، أو لا تساوي كذا ، ونحو ذلك .

ـ **أو في داره كقولك** : قليلة المرافق ، أو مظلمة ، أو ضيقة أو ضيع ما صرف عليها ، ونحو ذلك .

ـ فكل هذا وأشباهه مما تعلم أن أخاك يكرهه فهو غيبة محرمة حتى وإن كنت صادقاً فأنت به مغتاب ، وعاصٍ لربك ، وآكل لحم أخيك .

ـ واعلم أن كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو داخل في الغيبة : سواء أكان بكلام أو بغيره ، كالإشارة والإيماء ، والغمز ، والهمز والحركة ، والكتابة .

ـ **وكذلك إذا حاكيته** : بأن تلبس لبسته ، أو تمشي مشيته أو تنظر نظرته ، فهو داخل في الغيبة ، بل هذا أشد أنواع الغيبة لأنه أعظم في التصوير والتفهيم .

ـ هذا : والناس يتساهلون في أمر الغيبة مع شناعتها وقبحها عند الله تعالى ، وصاحبها يعذب أشد العذاب في نار جهنم .

ـ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " نَظَرَ فِي النَّارِ ، فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجِيَفَ ، قَالَ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ " [1] .

ـ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ [2] وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟

---

[1] أخرجه أحمد وإسناده صحيح .

[2] أي : يجرحونها .

قَالَ : هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ " [1] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ " [2] .

ـ فكما أن قتل النفس من الكبائر ، وغصب المال من الكبائر فكذلك تناول العرض من الكبائر .

ـ **والغيبة** : تتناول العرض ، وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال في حيز واحد فصارت حرمته كحرمتهما .

ـ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاِسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ " [3] .

ـ **وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام** : أن من مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار .

ـ فعلى المغتاب أن يستغفر الله تعالى ، ويتوب إليه ، ويعزم ألا يعود إليها ، ومن أصر عليها ، فليعلم أنه : متعرض لسخط الله

---

[1] أخرجه أبو داود .

[2] أخرجه مسلم .

[3] أخرجه أبو داود .

تعالى لارتكابه ما نهى عنه ، ومشبه عنده بآكل الميتة ، وليعلم أنها من الكبائر ، وأنها محبطة لحسناته يوم القيامة ، فإن حسناته تنقل يوم القيامة إلى من اغتابه ، فإن لم تكن له حسنات ، نقل إليه من سيئات خصمه ، فالعبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه ، فيحصل بها الرجحان ويدخل النار .

ـ **فعن أبى أمامه الباهلي رضي الله عنه أنه قال** : إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات ، لم يكن عملها ، فيقول : يا رب من أين لي هذا ؟ فيقول : هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر .

ـ **وقال الحسن البصري رحمه الله** : إياكم والغيبة والذي نفسي بيده لهى أسرع في الحسنات من النار في الحطب .

ـ **وقيل** : إن مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقاً فهو يرمي به حسناته : شرقاً ، وغرباً ، ويميناً ، وشمالاً .

ـ **وروي عن الحسن البصري** : أن رجلاً قال : إن فلاناً قد اغتابك فبعث إليه طبقاً من الرطب ، وقال : بلغني أنك أهديت إلي حسناتك فأردت أن أكافئك عليها ، فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك بها

على التمام .

ــ هذا : وليعلم المغتاب أنها أشد من الربا ، وأن أهلها يأكلون الجِيَف في النار ، ويعذبون فيها أشد العذاب ، فمن استحضر ذلك لم يطلق لسانه بالغيبة ، وسوف يقلع عنها في الحال ويستغفر الله تعالى ، ومن أصر عليها ، ولم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله ، فقد قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [1] .

ــ فهل بعد هذا الوعيد وعيد ، فمن لم يقلع عنها فلا يلومن إلا نفسه .

***

ــ السامع شريك المغتاب :

ــ من المقرر في الإسلام أن السامع شريك المغتاب ، وأن عليه أن ينهي عن المنكر ، ويدافع عن أخيه المغتاب .

ــ وقد رغب في ذلك النَّبِيِّ ﷺ بقوله : " مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ

---

[1] سورة النساء : آية : ١٤ .

رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [1] .

ـ وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغِيبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ " [2] .

ـ فمن لم تكن له هذه المهمة ، ولم يستطع رد هذه الألسنة المفترسة عن عرض أخيه ، فأقل ما يجب عليه أن يعتزل هذا المجلس ويعرض عن القوم حتى يخوضوا في حديث غيره وإلا فما أجدره بقول الله : ﴿ **إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ** ﴾ [3] .

ـ وتذكر أخي الكريم ، قول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا** [4] **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ** [5] **حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى** [6] **مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [7] .

---

[1] أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

[2] أخرجه أحمد بإسناد حسن .

[3] سورة النساء : آية : ١٤٠ .

[4] أي : بالطعن والاستهزاء .

[5] أي : بترك مجالستهم .

[6] الذكرى : أي التذكر .

[7] سورة الأنعام : آية : ٦٨ .

ـ وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ [1] أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [2] .

ـ وقد وعد الله تعالى من أعرض عن اللغو بالفردوس الأعلى :

ـ فقد قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [3] .

ـ المفتاح الثاني :

النميمة

ـ **النميمة** : هي نقل كلام زيد إلى عمر مثلاً على وجه الإفساد والوقيعة ، واعلم أن اسم النميمة يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول : فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه ، أو المنقول إليه ، أو كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول ، أو بالكتابة ، أو بالرمز ، أو بالإيماء ، وسواء

---

[1] هو : القول القبيح .

[2] سورة القصص : آية : ٥٥ .

[3] سورة المؤمنون : آية : ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٠ ، ١١ .

كان المنقول من الأعمال ، أو من الأقوال ، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه ، أو لم يكن ، بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه ، فكل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره ، فينبغي أن يسكت عنه ، إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية ، كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له ، فأما إذا رآه يخفى مالاً لنفسه فذكره فهو نميمة ، وإفشاء للسر ، فإن كان ما ينم به نقصاً وعيباً في المحكي عنه ، كان قد جمع بين الغيبة والنميمة .

ـ الباعث على النميمة :

ـ إما إرادة السوء للمحكي عنه ، أو إظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث ، والخوض في الفضول والباطل .

ـ فانتبه أخي المسلم واحذر النميمة ، فالنمام متعرض لسخط الله ومقته ، وقد حكم على نفسه بعدم دخول الجنة . فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ " [1] .

ـ فاحذر هذه الرذيلة ، واعلم أنها كبيرة من كبائر الذنوب والآثام

---

[1] أخرجه مسلم .

مفعولها كمفعول النار في الحطب ، تفرق بين الزوجين ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الأصدقاء ، والأعظم من ذلك كله إذا كانت النميمة إلى الحاكم لإيقاع غضب الحاكم على من نقل عنه ، فقد يصدقه الحاكم الظالم بدون أن يتثبت ويعمل بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [1] .

ـ وفي عصرنا هذا جعلت الحكومات الأجور الباهظة للنميمة وسموها (بالمخابرات) فمن أجل تلك الأجور والأغراء المالي ينقل أولئك الموظفون ما هب ودب ، ويزيدون على الكلمة عشرات الكلمات ، بل المئات ، ويوغرون صدر الحاكم حتى يغضب وينتقم من المنقول عنه ، وقد بثوا هذه الجواسيس في أكثر الأمكنة ، حتى المساجد لم تخل منهم .

نعم : للحاكم أن يبث العيون والمخابرات في لغة عصرنا بالنسبة لأعداء الدولة كي يكون على حذر منهم ، أما بالنسبة إلى الرعية فإنهم كأبناء للحاكم ، والناس منذ خلقهم الله شأن كثير منهم ، الكلام

---

[1] سورة الحجرات : آية : ٦ .

فيما لا يعني والغيبة والنميمة ، وقد يتكلم المظلوم في الحاكم أو في القاضي لينفث عما يجده في صدره ، أو ينتقد الأوضاع المخالفة لشريعة الإسلام .

فلا ينبغي لمن نقل إليه من الحكام ، والقضاة ، وذوي الولايات أن يتعجلوا في القضية ، ويستفزهم الغضب ، ويبادروا بالانتقام وليتذكروا الآية السالفة ، وقوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ [1] .

ولكن بدلاً من التثبت والصفع في وجه النمام ، ملأ الحكام الظالمون السجون من الأبرياء الذين نقلت المخابرات لهم أخباراً كاذبة وعلى فرض أن يكون في بعضها شيء من الصدق ، فلم يكن على قصد سيء للحكومة وللحاكم ، وكم قتل الحكام الأبرياء نتيجة تلك المخابرات الظالمة ، ولكن لم يخف على الناس ما فعلت وما انتقم الله منهم ، وهذه مصيبة حلت بأكثر البلدان الإسلامية لا سيما إذا كان مبدأ الحاكم غير إسلامي .

وقد قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا**

---

[1] سورة القلم : آية : ١٠ : ١١ .

﴿ يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ [1] .

وكيف لا تكون النميمة كبيرة وهي ما هي من الإفساد ، والوقيعة وتوريث الشحناء والبغضاء بين الناس ، وقد تجر البغضاء إلى النزاع بل قد يؤول أحياناً إلى القتال ، وسفك الدماء .

ـ هذا : وقد ذم الله تعالى صاحب هذا الفعل :

ـ فقال عز وجل : ﴿ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [2] .

ـ ﴿ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ ﴾ : فهو كثير الحَلِفِ لعلمه بكذبه وكذلك فهو مَهِينٍ : لا يحترم نفسه عكس العزة .

ـ ﴿ هَمَّازٍ ﴾ : يعيبُ الناس بالقول والإشارة .

ـ ﴿ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ : يمشي بين الناس بما يُفسد قلوبَهُم ويقطع صلاتهم ومودتهم .

ـ وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ " [3] .

---

[1] سورة إبراهيم : آية : ٤٢ .

[2] سورة القلم : آية : ١٠ : ١١ .

[3] أخرجه مسلم .

ـ فهل بعد هذا الوعيد وعيد ، ينـذره الرسول ﷺ بعـدم دخـول الجنة ، ولو لم يرد في الزجر عن النميمة إلا هذا الحـديث لكفـى المسلم زجراً وبعداً عن هذه الرذيلة ، التي لا يتصف بهـا إلا كـل حقير النفس ودنيئها ، وخبيث الطبع وسيئها .

ـ **فالنمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته** : وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب ، والغيبة ، والغدر ، والخيانـة ، والغـل والحسد ، والنفـاق ، والإفسـاد بيـن الناس والخديعة ، وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسد في الأرض .

قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ [1] . سُوءُ الدَّارِ : هي جهنم وبئس القرار .

ـ والنمام منهم : لأنه يسعى في الإفساد والإغراء بين الإخوان .

ـ **ويقال** : عمل النمام أضر مـن عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالخيال والوسوسة ، وعمل النمام بالمواجهة والمعاينة .

ـ **فشر النمام عظيم** : فهـو شخص متلـون يعطي لكـل طرف

---

[1] سورة الرعد : آية : ٢٥ .

ما يزكي نار الفتنة عنده وما يشحن قلبه بالعداوة والبغضاء ، فهو يقوم بدور شيطان الإنس ، يتحرك بسرعة وخفة ليشيع الأسرار وينقل الأخبار ، ويحدث الشائعات ، فينبغي أن يتوقى منه .

ـ **وقد روي عن حماد بن سلمة أنه قال** : رأى رجلاً غلاماً يباع وهو ينادى عليه ليس به عيب إلا أنه نمام ، فاستخف بالعيب واشتراه فمكث عنده أياماً .

ثم قال لزوجه سيده : إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى وقال إنه لا يحبك ، فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه ، فإذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته حتى أسحره عليها فيحبك ، فقالت في نفسها : نعم ، واشتغل قلب المرأة ، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها .

ثم جاء إلي زوجها وقال سيدي : إن سيدتي زوجتك قد إتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت إليه وتريد أن تخلص منك ، وقد عزمت على ذبحك الليلة ، وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفى يدها شيء تريد أن تذبحك به ، وصدقه سيده .

فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت

والرجل يتناوم لها ، فقال في نفسه : والله صدق الغلام بما قال ، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه ، قام وأخذ الموسى منها وذبحها به ، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه ، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم .

ـ هذا : وينبغي على كل من حُملت إليه النميمة ، وقيل له إن فلان قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا ، أو هو يدبر في إفساد أمرك ، أو في ممالأة عدوك أو تقبيح حالك ، أو ما إلى ذلك ، فعليه ستة أمور :

ـ الأول : أن لا يصدقه لأن النمام فاسق مردود الشهادة ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [1] .

ـ الثاني : أن ينهاه عن ذلك ، وينصح له ويقبح عليه فعله ، قال الله تعالى : ﴿ **وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ** ﴾ [2] .

ـ الثالث : أن يبغضه في الله تعالى ، فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى .

ـ الرابع : أن لا تظن بأخيك الغائب السوء ، لقول الله تعالى

---

[1] سورة الحجرات : آية : ٦ .

[2] سورة لقمان : آية : ١٧ .

﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [1] .

ـ **الخامس** : أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس ، والبحث عن تحقيق ذلك ، اتباعاً لقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَجَسَّسُوا ﴾ [2] .

ـ **السادس** : أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ، ولا تحكي نميمته ، فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا ، فتكون به نماماً ومغتاباً وتكون قد أتيت ما عنه نهيت .

ـ **وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه** : أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً .

فقال له عمر : إن شئت نظرنا في أمرك ، فإن كنت كاذباً ، فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [3] .

وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [4] .

وإن شئت عفونا عنك ، فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبداً .

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١٢ .

[2] سورة الحجرات : آية : ١٢ .

[3] سورة الحجرات : آية : ٦ .

[4] سورة القلم : آية : ١١ .

الرياء

ـ قال الله تعالى : ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [1] .

ـ وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [2] .

ـ وقال تعالى : ﴿ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾ [3] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ : رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ، قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ : جَرِيءٌ [4] فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ، قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ

---

[1] سورة النساء : آية : ١٤٢ .

[2] سورة الماعون : آية : ٤ : ٧ .

[3] سورة البقرة : آية : ٢٦٤ .

[4] جرئ : أي شجاع حاذق .

كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ، قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ " [1] .

ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ " [2] .

ـ " مَنْ سَمَّعَ " : معناه أظهر عمله للناس رياء .

ـ " سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ " : أي فضحه يوم القيامة .

ـ " وَمَنْ رَاءَى " : أي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم .

ـ " رَاءَى اللَّهُ بِهِ " : أي أظهر سريرته على رؤوس الخلائق .

ـ فالرياء : نفاق وشرك ، والمسلم مؤمن موحد ، فيتنافى مع إيمانه

---

[1] أخرجه مسلم .

[2] أخرجه مسلم .

وتوحيده خلقا الرياء والنفاق ، فلا يكون المسلم منافقاً ولا مرائياً وأما عن حقيقة الرياء فهي إرادة العباد ، بطاعة المعبود عز وجل للحصول على الحظوة بينهم والمنزلة في قلوبهم .

ـ وَقد قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ " قَالُوا : وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ " الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ : اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً " (١) .

ـ وَقَالَ ﷺ : " قَال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ " (٢) .

ـ **وقال بعض الحكماء** : مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة فيقول الناس ما أملأ كيس هذا الرجل ، ولا منفعة له سوى مقالة الناس ، ولو أراد أن

---

(١) أخرجه أحمد عن محمود بن لبيد رضي الله عنه .

(٢) أخرجه ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

يشتري له شيئاً لا يعطى به شيء ، كذلك الذي عمل للرياء والسمعة لا منفعة له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة كما قال الله تعالى : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا** ﴾ [1] .

يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور : وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس .

ـ لذلك كان ﷺ يعلم أصحابه هذا الدعاء ، وقاية لهم من الرياء :

ـ فعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَيُّهَا النَّاسُ : اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ " فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ : وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " قُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ نَعْلَمُ " [2] .

---

[1] سورة الفرقان : آية : ٢٣ .

[2] أخرجه أحمد .

الكذب في الحديث

ـ قال تعالى في الكاذبين : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [١] .

ـ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [٢] .

ـ وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [٣] .

ـ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [٤] .

ـ وَعَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ [٥] وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى

---

[١] سورة الزمر : آية : ٦٠ .

[٢] سورة آل عمران : آية : ٦١ .

[٣] سورة النحل : آية : ١٠٥ .

[٤] سورة غافر : آية : ٢٨ .

[٥] أي : يرشد ويوصل إلى (البر) أي : العمل الصالح .

الْفُجُورِ [1] وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " [3] .

ـ وَعَنْ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فِي حديث منام النبي ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ لِقَفَاهُ ، وَآخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ [4] يُشَرْشِرُ [5] شِدْقَهُ [6] إِلَى قَفَاهُ ، وَعَيْنَاه إِلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ يَذْهَب إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ ، فَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ مِثْلَ مَا كَانَ [7] فَيَفْعَلُ بِهِ كذلك إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فقُلْتُ

---

[1] أي : العمل السيء .

[2] أخرجه البخاري ومسلم .

[3] أخرجه مسلم .

[4] بكلوب من حديد : مثل تنور خشبة في رأسها حديدة .

[5] فيشرشر : أي يقطع .

[6] شدقه : هو جانب الفم .

[7] يصح مثل ما كان : أي يعود كما كان قبل الشرشرة .

لَهُمَا مَن هَذَا فقَالاَ : إنه كَان يَغْدُو [1] مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ [2] " [3] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ [4] مُسْتَكْبِرٌ " [5] .

ـ وَعَنْ نَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كَبُرَتْ خِيَانَةً تُحَدِّثُ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ بِهِ كَاذِبٌ " [6] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ " [7] .

ـ **وقال على رضي الله عنه** : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب .

---

[1] يغدو : أي يخرج .

[2] الآفاق : جمع أُفق ، وهو الناحية .

[3] أخرجه البخاري .

[4] عائل : أي فقير .

[5] أخرجه مسلم .

[6] أخرجه أحمد والطبراني بإسناد جيد .

[7] أخرجه أحمد .

ـ **وقال ابن المبارك** : أول عقوبة الكاذب من كذبة أنه يرد عليه صدقه .

ـ **وقال يزيد بن ميسرة** : إن الكذب يسقي باب كل شر كما يسقى الماء أصول الشجر .

ـ ونحن نجد أن أكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم أو لزيادات المال والجاه ، حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفخر به وتكذب لأجل التباهي أمام الأخريات ، أو لمراغمة الضرات ، وذلك حرام .

فالمسلم لا يظهر في غير مظهره ، ولا يظهر خلاف ما يبطنه فلا يلبس ثوب زور ، ولا يرائي ، ولا يتكلف ما ليس له .

ـ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقُولُ : إِنَّ زَوْجِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ " [1] .

ـ " الْمُتَشَبِّعُ " : هو الذي يظهر الشبع وليس بشبعان ، ومعناه هنا أنه يظهر أنه حصل له فضيلة ، وليست حاصلة .

---

[1] أخرجه مسلم .

ـ " وَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ" أي ذي زور ، وهو الذي يزور على الناس بأن يتزيا بزي أهل الزهد والعلم ، أو الثرة ليغتر به الناس وليس هو بتلك الصفة . والله أعلم .

ـ فعلى المسلم أن يصون لسانه عن الكذب ، بل وعن كل كلام لا فائدة دينية ، أو دنيوية منه ، فإن في السكوت السلامة ، وفي الحديث الصحيح : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " [1] .

ـ المقام الخامس :

الكذب في المنام

ـ يعمد بعض الناس إلى اختلاق رؤى ومنامات لم يروها لتحصيل فضيلة أو ذكر بين الخلق ، أو لحيازة منفعة مالية أو تخويفاً لمن بينه وبينهم عداوة ونحو ذلك ، وكثير من العامة لهم اعتقادات في المنامات وتعلق شديد بها ، فيخدعون بهذا الكذب ، وقد ورد الوعيد الشديد لمن فعل هذا الفعل .

ـ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

" أَفْرَى الْفِرَى [1] أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا " [2] .

ــ **معناه أن يقول** : رأيت في منامي كيت وكيت ، ولم يكن رأى شيئاً .

ــ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنْ تَحَلَّمَ [3] بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ ، كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ " [4] .

ــ وَعَنْهُ أيضاً : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنْ تَحَلَّمَ كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَعُذِّبَ وَلَنْ يَعْقِدَ بَيْنَهُمَا " [5] .

ــ **قال الحافظ** : وذلك ليطول عذابه في النار .

وذلك لأن العقد بين شعيرتين أمر مستحيل فكان الجزاء من جنس العمل .

ــ **وقال الطبري** : إنما أسند الوعيد فيه مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه ، كشهادة الزور في قتل مسلم ، أو أخذ ماله : لأن الكذب في المنام كذب على الله تعالى ، وذلك لحديث

---

[1] أي : من أكذب الكذبات .

[2] أخرجه البخارى .

[3] تحلم : أي قال إنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا ، وهو كاذب .

[4] أخرجه البخاري .

[5] أخرجه أحمد .

" الرؤيا جزء من النبوة " وما كان من أجزاء النبوة فمن الله تعالى [1] .

ـ والخلاصة : أن المنام جزء من الوحي فالمخبر عنه بما لم يقع كالمخبر عن الله بما لم يلقه إليه . ولذلك اشتد الوعيد فيه .

ـ المفتاح الثاني :

اتصاف المرء بوجهين

ـ ذو الوجهين ، الذي يتردد بين المتصافين ، أو المتخاصمين وينقل كلام كل واحد إلى الآخر ، ويكلم كل واحد بكلام يوافقه أو يعده أنه ينصره ، أو يثنى على الواحد في وجهه ، ويذمه عند الآخر .

ـ وهذه من صفات المنافقين التي ذمها الله سبحانه وتعالى في مثل قوله : ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** (١٤) **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [2] .

---

[1] دليل الفالحين لمحمد بن علان المكي ج٤ ، ص : ٣١٣ .

[2] سورة البقرة : آية : ١٤ : ١٥ .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ " (١) .

ـ وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا ، كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٢) .

ـ وَعَنْ مُحَمَّد بْنِ زَيْد : أَنَّ نَاساً قَالُوا لِجَده عَبْد الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلاطِينَنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمِ ، قَالَ : كُنَّا نَعُدُّ هذَا نِفَاقَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ (٣) .

ـ قال القرطبي : إنما كان ذو الوجهين شر الناس ، لأن حاله حال المنافقين ، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب ، مدخل للفساد بين الناس .

ـ هذا : واتصاف المرء بهذه الصفة الشنيعة لا شك أنها كبيرة من كبائر الذنوب ، بل من أكبرها لما تحمل هذه الخصلة من الصفات

---

(١) أخرجه البخاري .

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود .

(٣) أخرجه البخاري .

الذميمة ، ذو الوجهين يوصف بالكذب ، والنفاق ، والإفساد والخداع والمكر والنميمة ، وهذه أوصاف قل أن تجتمع فيمن يؤمن بالله ورسوله وباليوم الآخر إيماناً كاملاً ، إذ لو كان مؤمناً كما يدعى لردعه الإيمان عن هذه الصفات القبيحة الشيطانية التي هي من صفات إبليس ، ولذا يحشر الله ذا الوجهين بوجهين احتقاراً له وبلسانين ازدراء به ، ويقلب هيئته في الآخرة إلى تلك الصفة زيادة في عقابه ، وليذوق أشد الآلام ، ويصطلي لسانه النار ، ويراه الناس فيذمونه ويفضحونه ، وكفى بهذا الوعيد والترهيب الشديد زجراً وردعاً عن هذه الصفة المذمومة .

ـ إن شأن المسلم أن يكون نزيهاً من الكذب والغدر والنفاق والمكر والنميمة ، وسائر الأوصاف الذميمة المجانبة للإيمان والإسلام ولتعاليم القرآن ، والسنة النبوية .

شأن المسلم إذا رأى متعاديين ، أو طائفتين متخاصمتين أن يسعى بينهما بالصلح ، ويأتي كل واحد منهما بما يرغبه في ترك الهجر والخصومة ، ويحبب له الصفاء والمودة لأخيه المسلم ، ويبين حق المسلم على المسلم وأن المؤمنين كالجسم الواحد ، لا أن يزين له ما هو عليه من الباطل ، بل يعتذر لكل واحدة عن الأخرى ، وينقل

إليه ما أمكنه من الكلام الحسن ، شأن المسلم إذا رأى متعاديين سواء أكان رجلين ، أو طائفتين ، أو دولتين ، أن يسعى بينهما بالصلح ، لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (١) .

ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ ، وَالصَّلاَةِ ، وَالصَّدَقَةِ " قَالُوا بَلَى ، قَالَ : " صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ لاَ أَقُولُ : تَحْلِقُ الشَّعَرَ ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ " (٢) .

ـ المفتاح السابع :

نقض العهد

ـ الغدر بالعهد وعدم الوفاء بالوعد من أكبر صفات المنافقين ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة وجوب الوفاء بالعهد وتحريم الغدر .

ـ فقد قال الله تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ**

---

(١) سورة الحجرات : آية : ١٠ .

(٢) أخرجه الترمذي وقال : حديث صحيح .

مَسْئُولاً ﴾ [1] .

ـ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [2] .

ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما : العهود : يعني ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله .

ـ ويدخل في ذلك العقود كافة : كعهد الله ، وعقد الحلف ، وعقد الشركة ، وعقد البيع ، وعقد النكاح ، وعقد الأيمان .

ـ **وكثيراً ما يجري نقض العهد بين الحكام وبين القبائل** : فتراه يعطي حاكم لحاكم آخر ، أو قبيلة أخرى : العهد والأمان ، ثم ينبذه من غير أن يشعره فتقوم الفتن ، والحروب الطاحنة ، وتسفك فيها دماء الأبرياء وتنهب فيها الأموال ، وقد تستباح فيها الأعراض ، والمحرمات وتتأصل العداوات في القلوب ، وتنقطع الصلات بين المسلمين وتفترق كلمتهم كل ذلك لأنهم يخالفون الله ورسوله ولا يرعون العهود .

ـ **وكذلك يجري نقض العهد بين المتبايعين** : يبيعه سلعة أو يشتري أخرى ، ثم يجد ثمناً أكثر بالنسبة للبائع ، أو أقل بالنسبة للمشتري

---

[1] سورة الإسراء : آية : ٣٤ .

[2] سورة المائدة : آية : ١ .

فينقض عقد البيع ويأتي بشبهات واهية ليسوغ فعله الخائن وينقض صفقته كأن يقول : أنا شريتها لغيري ، أو أنا ما رأيتها ، أو فيها العيب الفلاني وما علمت به ، أو أن الموكل لم يفوضني بهذا الثمن أو يصور البيع بعقد ربوي ليتوصل إلى نكثه وبطلانه ، أو ما شابه ذلك من الكلام الكاذب .

ـ **كما أن إخلاف الوعد كثيراً ما يجري بين بعض الناس** : فتراه يعده بأن يعطيه شيئاً ، أو يقضي له حاجة ، ويعلق الموعود أماله الكبيرة على ذلك الوعد ويبني عليه بنياناً شامخاً ، فإذا حل الأجل فإن من وعده يأتي بأعذار أوهى من بيت العنكبوت ليخلف وعده وقد يكون ضرراً على الموعود مثل أن يكون قدم خطبة زواج ، وطلب منه مالاً فوعده بأن يساعده بمبلغ كذا إما عطاء وإما قرضاً ، فيذهب الموعود ويخطب زوجة ويسلم بعض مقدمات الزواج ، فإذا الواعد قد أخلف الوعد ونقض العهد ، وأصبح الموعود في موقف حرج قد خاب أمله وذهبت عليه مخطوبته ، أو يشتري سلعة ويعده بالمساعدة أو بالقرض ، ويخلف الوعد ، فيقع الموعود في أمر حرج ، وحالة سيئة من جراء كذب ذلك الرجل ، وعدم وفائه في وعده .

ـ فإلى هؤلاء الناكثين العهود والمخلفين الوعود نزف إليهم آيات من القرآن العظيم وبعض الأحاديث النبوية لتكون رادعة لمن تسول له نفسه الأمارة بخلف الوعد ونقض العهد .

ـ قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [1] .

ـ وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنْ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [2] .

ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا ، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " [3] .

---

[1] سورة الرعد : آية : ٢٥ .

[2] سورة التوبة : آية : ٧٥ : ٧٧ .

[3] أخرجه البخاري ومسلم .

ـ وَعَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ [1] يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ ، يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنٍ " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " قَالَ اللَّهُ تَعالى : ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ " [3] .

ـ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ في حديث الصحيفة وفيها قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ ، وَالْمَلاَئِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ " [4] .

ـ " أَخْفَرَ " : أي غدر ونقض العهد .

---

[1] الغادر : الذي يعاهد ولا يفي . (اللواء) : الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب أو صاحب دعوة الجيش ويكون الناس تبعاً له . والمعنى : أن لكل غادر لواء أي : علامة يشتهر بها في الناس ، وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق لغدر الغادر ليشتهر .

[2] أخرجه مسلم .

[3] أخرجه البخاري .

[4] أخرجه البخاري مسلم .

ـ " لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ ، وَلاَ عَدْلٌ " : أي لا يقبل منه نفل ولا فرض .

ـ وقد وعد الله تعالى من يوفي بوعده بالفردوس الأعلى :

ـ فقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُوْلَئِكَ هُمْ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [١] .

ـ المفتاح الثامن :

الجدال

ـ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ " [٢] .

ـ والجدال : هو عبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه

---

[١] سورة المؤمنون : آية : ١ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

[٢] أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

بالقدح في كلامه ، ونسبته إلى التهور والجهل فيه .

ـ والباعث على هذا :

هو الترفع بإظهار العلم والفضل ، والتهجم على الغير بإظهار نقصه ، فينبغي للإنسان أن ينكر المنكر من القول ، ويبين الصواب فإن قبل منه وإلا ترك الجدال ، هذا إذا كان الأمر معلقاً بالدين فأما إذا كان في أمور الدنيا ، فلا وجه للمجادلة فيه .

ـ والخلاصة :

أن كل كلام سمعته ، إن كان حقاً فصدق به ، وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه .

ـ فمن جادل لنصر الحق كنصر الكتاب والسنة والعقيدة الصحيحة والرد على أهل الضلال والكفر والبدع فهذا محسوب من الجهاد في سبيل الله ، ومن الدعوة إلى دين الله قال تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [1] .

ولكن ينبغي له أن يلزم حدود الأدب ويتجنب الألفاظ الجارحة

---

[1] سورة النحل : آية : ١٢٥ .

لكي يقبل الخصم على حججه وبيناته ، فإن في الشدة والغلظة تنفير للخصم كما قال تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَ نْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾ [1] .

ـ وقال تعالى : ﴿ **وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [2] .

ـ المفتاح السابع :

الفجور في المخاصمة

ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا ، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " [3] .

ـ فالجور في المخاصمة وعدم الوقوف عند الحق ، فذلك وزر كبير يجر إلى أوزار كثيرة ، ومفاسد عظيمة ، فالفاجر في

---

[1] سورة آل عمران : آية : ١٥٩ .

[2] سورة العنكبوت : آية : ٢٩ : ٤٦ .

[3] أخرجه البخاري ومسلم .

الخصومة ينكر حق صاحبه ، ويستحل ماله وعرضه ، ولا يترك باباً من أبواب الاضرار به إلا فتحه ، ولو أضاع في سبيل ذلك المال الكثير ، بل ولو شغله ذلك عن القيام بواجباته ، وأنت عليم بما يكون بين أرباب القضايا ، وبين الحزبين من بلد واحد ، وبين الأحزاب السياسية وغيرها ، فالفجور في الخصومة داء وبيل يقطع الأواصر ، وينشر الجرائم ويفتك بالأخلاق ، ويقضي على المودة ويشتت الشمل ، ويقلب الحق باطلاً والباطل حقاً ، لا سيما إذا كان من ذوي اللسان والبيان ، وإن من البيان لسحراً ، فتراه يأتي بحجته بمقدمات وألفاظ خلابة ، يسحر القاضي ، والجالسين .

وخصمه وإن كان محقاً إذا لم يكن عنده من اللسان والبيان مثل خصمه ، فلا ريب أنه سيكون صريع باطل خصمه الظالم .

ــ وبعض المحامون في عصرنا لهم نصيب كبير من الوزر والإثم والنفاق ، ولأن أكثرهم قد درس الحقوق والمحاماة ، وعرف السبل التي يسلكها لكي يغلب خصمه ، ويستخرج ما ليس له حق فيه بواسطة حكم المحكمة بالطرق الشيطانية التي سلكها كتابة ومشافهة تلك الطرق التي سبكت باطله في قالب حق ، وكذبه في قالب صدق

ونسج فجوره في ثوب مظلوم ، حتى جعل خصمه المظلوم الحقيقي ظالماً وباغياً ، أو استطاع بخلابة لسانه وسحر بيانه ، وبأكاذيبه الملفقة ، وبشهود الزور ، وبالمستندات المزورة أن يؤثر على القاضي ، ويظهر الحكم في صالحه ، وفي قرارة نفسه وباطن أمره يعلم هذا الظالم أنه كاذب في دعواه ، فاجر في خصومته ، ظالم لخصم موكله .

ـ وما جرأه على ذلك : إلا تلك الجنيهات التي أخذها من موكله فما أجرأه على الله وأظلمه لعباد الله .

ـ فيا من تقوم بهذا العمل ، أين أنتم من قول الله تعالى :

﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [1] .

ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ أَبْغَضَ

---

[1] سورة البقرة : آية : ٢٠٤ : ٢٠٦ .

الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ " [1] .

ــ أي : كثير الخصومة ، واللدد : هو شدة الخصومة ، والاعوجاج والانحراف عن الحق .

ــ **وقال بعضهم** : إياك والخصومة فإنها تمحق الدين ، وتوغر الصدر وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه ، وبقى الحقد بين المتخاصمين ، حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ، ويحزن بمسرته ، ويطلق اللسان في عرضه ، فمن بدأ بالخصومة : فقد تعرض لهذه المحذورات ، وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه .

ــ ويكفي من سيئات الخصومة بين المسلمين الحرمان من مغفرة الله عز وجل :

ــ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ [2] فَيُقَالُ : أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ

---

[1] أخرجه البخارى ومسلم .

[2] الشحناء : أي العداوة .

حَتَّى يَصْطَلِحَا " [1] .

ـ فالخصومة مبدأ كل شر ، وكذا الجدال ، وأقل ما يفوته في الخصومة ، والجدال طيب الكلام ، وما ورد فيه من الثواب ، إذ أقل درجات طيب الكلام : إظهار الموافقة ، ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن ، والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل ، وإما تكذيب ، فإن من جادل غيره ، أو خاصمه فقد جهله ، أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وثوابه العظيم .

ـ فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى بُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا ، وَظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا " فَقَالَ : أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : " لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ " [2] .

ـ وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ " [3] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

[1] أخرجه مسلم .

[2] أخرجه أحمد .

[3] أخرجه البخاري ومسلم .

" الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ " [1] .

ـ وقال بعض الحكماء : الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح .

ـ وقال بعض الحكماء : كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلاً ، فإنه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين .

ـ وهذا كله في فضل الكلام الطيب ، وتضاده الخصومة ، والجدال فإنه الكلام المستكره الموحش ، المؤذي للقلب ، المنغص للعيش المهيج للغضب ، الموغر للصدر .

ـ المفتاح العاشر :

السخرية والاستهزاء

ـ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ [2] .

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم .

[2] سورة الحجرات : آية : ١١ .

ـ قال الحافظ ابن حجر : إن من فعل إحدى الثلاث : " السخرية النبز ، اللمز " : استحق اسم الفسوق ، وهو غاية النقص بعد أن كان كامل الإيمان ، وضم الله تعالى إلى هذا الوعيد الشديد قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** ﴾ . للإشارة إلى عظمة إثم كل واحد من تلك الثلاثة .

ـ معنى السخرية :

ـ الاستهانة والتحقير ، والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه ، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء .

ـ وقال ابن عباس رضي الله عنهما : في قوله تعالى : ﴿ **يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا** ﴾ [1] .

ـ إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، والكبيرة القهقهة بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر لما فيه من التحقير والتهاون ، ولما فيه من تأذي المستهزأ به والضحك تارة يكون على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم ، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه ، وعلى صنعته

---

[1] سورة الكهف : آية : ٤٩ .

أو على صورته وخلقته إذا كان قصيراً ، أو كان ناقصاً لعيب من العيوب ، فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها .

ـ **ومعنى اللمز** : معناه في اللغة : الوخز والطعن .

ومعناه هنا : العيب ، فكأن من يعيب الناس إنما يوجه إليهم وخزة بسيف أو طعنة برمح وهذا حق ، بل ربما كانت وخزة اللسان أشد وأنكى ، وقد قيل :

جراحات السنان لها التئام ∴ ولا يلتئم ما جرح اللسان

ولصيغة النهي في الآية إيحاء جميل ، فهي تقول : ﴿ **وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ [1] .

ـ والمراد لا يلمز بعضكم بعضاً ، ولكن القرآن يُعبر عن جماعة المؤمنين كأنهم نفس واحدة ، لأنهم جميعاً متعاونون متكافلون فمن لمز أخاه ، فإنما يلمز نفسه في الحقيقة ، لأنه منه وله .

ـ **ومعنى النبز** : أي يدعو بعضكم بعضاً بلقب السوء .

ـ **قال النووي** : اتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكرهه سواء كان صفة له كالأعمى ، والأعرج ، والأحول ، والأصفر

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١١ .

والمقعد والأشلّ ، أو كان صفة لأبيه ، أو لأمه ، أو غير ذلك مما يكرهه [1] .

ـ ومجمل القول أن الله تعالى قد نهى المسلم أن يحتقر أخاه المسلم ، وفيما يلي بيان الأحاديث النبوية التي ترهب من ذلك :

ـ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " بِحَسْبِ امْرِئٍ [2] مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ [3] " [4] .

ـ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ " قَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا ، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ : بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ " [5] .

ـ " بَطَرُ الْحَقِّ " : أي دَفْعُهُ .

ـ " وَغَمْطُهُمْ " : أي احْتِقَارُهُمْ .

---

[1] الأذكار للنووي ص : ٢٥٩ .

[2] أي : كافى أي إنسان .

[3] وذلك لعظمه في الشر كاف عن اكتساب آخر .

[4] أخرجه مسلم .

[5] أخرجه مسلم .

ـ فنرى رسول الله ﷺ نهى عن أن يحتقر المسلم أخاه ، وبين أن الاحتقار إنما هو تكبر على الغير ، فالمتكبر ينظر إلى نفسه بعين الكمال ، وإلى غيره بعين الانتقاص فيحتقرهم ويزدريهم ، ورب هذا المحتقر أفضل عند الله من سواه ، وذو مكانة عالية ، فقد احتقر إبليس اللعين آدم عليه السلام لكونه خلق من طين ، وهو من نار واستكبر أن يسجد له فكان جزاؤه الخسار الأبدى .

ـ وقد قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [1] .

ـ فالخيرية عند الله تقوم على الإيمان والإخلاص وحسن الصلة بالله تعالى ، لا على الصور والأجسام ، ولا على الجاه والمال وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ " [2] .

فهل يجوز أن يسخر من إنسان رجل أو امرأة ، لعاهة في بدنه

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١٣ .

[2] أخرجه مسلم .

أو آفة في خلقته ، أو فقر في ماله ؟

ـ وقد روي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مِمَّ تَضْحَكُونَ " قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ، فَقَالَ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ " (١) .

ـ الفقيه الهادي عمر :

السباب

ـ عَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " (٢) .

ـ " سِبَابُ " : مصدر سب ، وهو أبلغ من السب ، فإن السب شتم الإنسان والتكلم على عرضه بما يعيبه ، والسباب أن يقول فيه : بما فيه ، وما ليس فيه .

ـ و" فُسُوقٌ " : أي خروج عن طاعة الله ورسوله .

ـ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ

---

(١) أخرجه أحمد .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

" لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ " [1] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " الْمُسْتَبَّانِ [2] مَا قَالاَ [3] فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ " [4] .

ـ وقد وصف رسول الله ﷺ ذلك الذي يشتم هذا ، ويقذف هذا بأنه المفلس يوم القيامة من الحسنات ، فقد قَالَ ﷺ : " أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ " قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ ، وَلاَ مَتَاعَ فَقَالَ : " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ ، وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " [5] .

---

[1] أخرجه البخاري .

[2] اللذان يظهران السب والشتم بالألفاظ الخشنة الوقحة .

[3] ما شرطية : أي إن قالا وتلفظا أحصى الذنب على المبتدئ المعتدي الظالم الفاحش حتى يتجاوز المظلوم عن الكظم والأدب فيسب ويجري التطاحن والسباب ، يريد ﷺ أن يبين أن ارتكان الذنب يقع على الشاتم مدة سكوت المشتوم وحفظ أدبه .

[4] أخرجه مسلم .

[5] أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا ، وَصِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ : " هِيَ فِي النَّارِ " [1] .

ـ الفتاح الثاني عشر :

اللعن

ـ ومعنى اللعن كما قلنا : الطرد من رحمة الله ، فمن طرد من رحمة الله يكون كإبليس ، الذي قال الله فيه : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [2] .

ـ هذا : ولا يملك كثير من الناس ألسنتهم إذا ما غضبوا فيسارعون باللعن فيلعنون البشر والدواب والجمادات والأيام والساعات ، بل وربما لعنوا أنفسهم وأولادهم ، ولعن الزوج زوجته والعكس ، وهذا أمر منكر خطير .

ـ فعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ " [3] .

---

[1] أخرجه أحمد .

[2] سورة ص : آية : ٧٨ .

[3] أخرجه البخاري ومسلم .

ـ فشبه النبي ﷺ لعن المسلم : بقتله فكما أن قتله قطع أجله وحياته وصيره في حيز الأموات ، فكذلك لعنه حكم عليه بالموت المعنوي وهو الطرد والبعد عن رحمة الله ، ولا يطرد من رحمة الله إلا الكافرون ، والكفار أموات موتاً معنوياً إذ لو كانوا أحياء حياة صحيحة لآمنوا بالله وبرسوله ، لأن الإيمان بالله وبرسوله هو الحياة الصحيحة الكاملة ، بدليل قوله تعالى في سورة الأنفال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [1] .

ـ هذا : ولأن اللعن يكثر من النساء فقد بين ﷺ أنه من أسباب دخولهن النار :

ـ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ ، وَأَكْثِرْنَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ " فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ : مَا لَنَا أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ قَالَ : " تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ [2] " [3] .

---

[1] سورة الأنفال : آية : ٢٤ .

[2] العشير : الزوج .

[3] أخرجه مسلم وابن ماجة .

ـ هذا : ولا يكون اللعانين شهداء ولا شفعاء يوم القيامة :

ـ فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قَـالَ : قَـالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : " لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [1] " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ قَـالَ " لاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا " [3] .

ـ وأخطر من ذلك : أن اللعنة ترجع على صاحبها إن تلفـظ بهـا ظلماً ، فيكون قد دعا على نفسه بـالطرد والإبعـاد مـن رحمـة الله .

ـ فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّـمَاءِ فَتُغْلَـقُ أَبْـوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَـا ، ثُـمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالاً ، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا [4] رَجَعَتْ إِلَى الَّـذِي لُعِـنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً ، وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا " [5] .

---

[1] والمعنى : أنهم لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار .

[2] أخرجه مسلم .

[3] أخرجه مسلم .

[4] أي : مدخلاً وطريقاً .

[5] أخرجه أبو داود .

الخيانة في الأمانة

ـ قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [1] .

ـ **فالخيانة في الأمانة** : تشمل الخيانة في حق الله ، وفي حق النفس وفي حق العباد .

ـ **أما الخيانة في حق الله** : فهي الإخلال بفريضة من فرائض الله أو ارتكاب ما نهى الله .

فالإخلال بالفريضة : كأن لا يغتسل من الجنابة ، أو يغتسل ولكن لا يستوعب الغسل جميع البدن ، أو لا يصلي ، أو يصلي ولكن يخل بها ، كأن لا يطمئن في ركوعه ولا سجوده ، أو يخل بركن من أركانها أو بشرط من شروطها ، وهكذا القول في سائر التكاليف الشرعية .

ـ **أما الخيانة في حق النفس** : فهي ترجع أيضاً إلى ترك المأمورات وارتكاب المحرمات .

---

[1] سورة الأنفال : آية : ٢٧ .

فمثلاً أعضاء الإنسان أمانة عنده :

فاللسان أمانة : فإذا كذب في الحديث ، أو شهد بالزور ، أو حلف بالفجور ، أو اغتاب أحداً أو نحو ذلك ، مما ينطق بلسانه من محرمات الأقوال ، فهذه خيانة اللسان .

وخيانة العين : أن ينظر بها إلى ما حَرم الله عليه .

وخيانة الرجلين : مشيها إلى المحرمات كمشيه إلى الزنا ، وإلى شرب الخمر ، وإلى السرقة ، وقطع الطريق .

وخيانة السمع : أن يصغى إلى الكلام المحرم : كالغيبة ، والنميمة والغناء الفاجر .

وخيانة الفرج : الزنا ، واللواط .

وخيانة الزوجة : أن تدنس فراش زوجها ، أو لا تطيعه .

وخيانة الزوج : مخادنته للعاهرات ، وظلمه للزوجة ، وبخسه حقها في الحقوق التي عليه لها .

ـ **أما الخيانة في حق العباد** : فهي في الودائع المالية ، أو العين المرهونة ، أو العين المستأجرة .

وكما أن الخيانة تشمل الأموال ، فهي تشمل الأعمال : كالموظف المؤتمن على عمله سواء كان العمل لحكومة ، أو لتاجر أو لشركة

فإذا أخل بالوظيفة بأن لم يقم بها حق القيام فقد خان الأمانة التي في عنقه .

ـ هذا : وقد تفشت الخيانة بمختلف أنواعها ، في المجتمعات الإسلامية .

ـ فمن حيث التهاون في فرائض الله ، والتجرئ على انتهاك حرمات الله ، فطوفان أغرق الكثيرين ، ويرون المتقيد بالشريعة متخلفاً رجعياً لا يساير العصر ، ولا يواكب التطور بل يعيش في قرون ماضية ، وفي حالة متخلفة .

ـ وأما في حقوق العباد من الأموال والأعمال : فخيانة المؤتمنين على الأموال .

وخيانة العمال ، والموظفين ، والتهاون في وظائفهم ، وعدم النصح في أعمالهم التي يتقاضون عليها أجراً ، وهم لا يقومون بما يجب عليهم شرعاً ولا عرفاً ، فهذه الخيانة أصبحت مما لا جدال فيها بل قد يرونها من المكاسب الدنيوية .

ـ فسنقرأ على أولئك آيات القرآن ، وأحاديث رسول الله ﷺ في شأن الخائنين إن كانوا بالله وبرسوله مؤمنين .

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [١] .

ــ وقال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ** ﴾ [٢] .

ــ أي : لا يرشد كيْد من خان أمانته بل يحرمه هدايته : في الدنيا ويفضحه على رؤوس الأشهاد في الآخرة .

ــ وكفى بهذه الآيات زجراً وردعاً .

ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " [٣] .

ــ ففي الحديث : أن الخيانة من خصال النفاق ، والنفاق يجر صاحبه إلى النار بعد أن يكسبه في الدنيا مذلة وهواناً .

ــ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلاَّ قَالَ : " لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ " [٤] .

---

[١] سورة النساء : آية : ٥٨ .

[٢] سورة يوسف : آية : ٥٢ .

[٣] أخرجه البخاري ومسلم .

[٤] أخرجه أحمد وهو حديث صحيح .

ـ وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " أَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ " وذكر منهم " الْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ ، وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ " [1] .

ـ " لاَ يَخْفَى " : أي لا يظهر .

ـ المقام الرابع عشر :

الكبر والعُجْبُ

ـ قال الله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾ [2] .

ـ الكبر والعُجْبُ : من الصفات الرذيلة التي يتصف بها وضيع النفس الجاهل بقدره وبمنشئه .

كيف يتكبر على العباد من هو مخلوق من ماء مهين ، ومآله أن يكون تراب ، فلو فكر في أصله وما يؤول إليه لما تكبر على غيره وما هو الموجب لكبره وفخره على غيره ، والناس كلهم من آدم عليه السلام ، وآدم من تراب .

---

[1] أخرجه مسلم في حديث طويل .

[2] سورة غافر : آية : ٣٥ .

ـ **فإن كان منشؤه العلم** : فالعلم يأمر بالتواضع وينهي عن العُجْبُ والكبر والفخر ، وليس من صفات العلماء التكبر واحتقار الغير والعلماء يعلمون أن أول من تكبر هو إبليس اللعين ، عندما أمره الله بالسجود لآدم ، فافتخر بعنصره الناري على آدم ذي العنصر الطيني ، كما أخبر الله عنه : ﴿ **خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ [1] .

ـ وقال الله تعالى في عدة آيات عن تكبر إبليس ، وحسده لآدم عليه السلام : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ** ﴾ [2] .

ـ هذا : **وإن كان كبره من أجل ماله الكثير** : فليعتبر بقصة قارون لما تكبر على موسى عليه السلام ، وامتنع عن أوامره ، وخرج عن طاعة الله ، وطاعة رسوله موسى عليه السلام ، فقد أخبر الله عنه وما عاقبه به فقال تعالى : ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ** ﴾ [3] .

---

[1] سورة الأعراف : آية : ١٢ .

[2] سورة البقرة : آية : ٣٤ .

[3] سورة القصص : آية : ٨١ .

ـ **وإن كان كبره لملكه وسلطنه** : فليتدبر عاقبة النمرود اللعين حينما تكبر على أوامر الله ، وعلى إبراهيم عليه السلام ، كيف أهلكه الله تعالى ببعوضة دخلت في منخره ، وكان أحب الناس إليه من يضربه على رأسه .

ـ وليقرأ قصة فرعون ، وسبب غرقه وهلاكه حيث تكبر على موسى عليه السلام ، وعلى بني إسرائيل ، ولم يمتثل أوامر الله وأوامر موسى عليه السلام ، وزاد في عتوه وجبروته حتى قال كما أخبر الله : ﴿ **أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى** (٢٤) **فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى** ﴾ [1] . وأغرقه هو وجنوده كما أخبر الله عنه في عدة آيات .

ـ وهذه الخصلة الذميمة : الكبر والعُجْبُ قد اتصف به كثير من الرؤساء والزعماء والملوك ، والأمراء والوزراء ، والتجار وكثير من الشباب الذين اغتروا بشبابهم ، وقوتهم ، وزادهم غروراً وغطرسة إذا كانوا ذوي ثروة ، أو أبناء أعيان .

أولئك المتكبرون إذا بادرتهم بالتحية لا يردونها ، وإذا زرتهم في

---

[1] سورة النازعات : آية : ٢٤ : ٢٥ .

أماكنهم لا ترى منهم اللطافة والبشاشة ، بل ترى منهم الفظاظة والغلظة وعدم اللقاء الطيب ، وقد قال الله تعالى :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [1] .

وهؤلاء من طيشهم وغرورهم وبطرهم ، قد خالفوا الله ورسوله ونسوا أن الله قد خلقهم من ماء مهين ، وأن لا فضل لهم على أحد إلا بالتقوى ، كما في الحديث الشريف : " لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ، وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى " [2] .

وتكبروا على أبناء جنسهم ، بل يتكبرون على من هو أفضل منهم في العلم والمكانة .

ويزداد غرورهم وكبرياؤهم إذا رأوا فقيراً رث الثياب ، فيحسبونه أنه بهيمة ، وينسون أنه أخوهم في الإسلام ، والإخوة تقتضي المحبة والمودة والتواضع ، وأقل ذلك أن يباشره بالتحية أو بردها لا أن يعبس بوجهه ويستعلي عليه ، ولا ريب أنه لا تكون هذه

---

[1] سورة النساء : آية : ٨٦ .

[2] أخرجه أحمد عن أبي نضرة رضي الله عنه .

الصفات الرديئة إلا ممن أضله الله ، واقتدى بإبليس اللعين ، ومآله إلى جهنم إذا لم يتب ، فبئس مثوى المتكبرين .

ولا بأس أن نتحف هؤلاء المتكبرين المتغطرسين بعدة آيات من الكتاب العزيز ، وطائفة من الأحاديث النبوية في ذم الكبر والعُجْبُ والتحذير منهما ، لعل الله أن يهديهم إلى سواء السبيل .

ـ قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** ﴾ [١] .

ـ وقال تعالى : ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** ﴾ [٢] .

ـ وَعَنْ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الْخُزَاعِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ : كُلُّ عُتُلٍّ [٣] جَوَّاظٍ [٤] مُسْتَكْبِرٍ " [٥] .

---

[١] سورة النحل : آية : ٢٣ .

[٢] سورة الأعراف : آية : ١٤٦ .

[٣] العتل : الغليظ الجافي .

[٤] الجواظ : الضخم المختال في مشيته .

[٥] أخرجه البخاري ومسلم .

ـ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ : عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ " لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِـهِ مِثْقَـالُ ذَرَّةٍ مِـنْ كِبْـرٍ " قَـالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُـهُ حَسَـنًا ، وَنَعْلُـهُ حَسَـنَةً قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ : بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْـطُ النَّاسِ " (١) .

ـ " بَطَرُ الْحَقِّ " : أي دَفْعُهُ . " وَغَمْطُهُمْ " : أي احْتِقَارُهُمْ .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ : عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ " اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهَا ، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ : يَا رَبِّ ! مَا لَـي يَدْخُلُنِي ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ ، وَقَالَتِ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْجَبَّـارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ " (٢) .

ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " بَيْنَمَا رَجُـلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِي فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ ، فَخَسَفَ اللَّهُ بِـهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا (٣) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " (٤) .

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه البخاري في حديث .

(٣) أي : يغوص وينزل .

(٤) أخرجه مسلم .

ـ وقال بعض السلف : أول ذنب عُصي الله به الكبر ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ ﴾ [1] . فمن استكبر على الحق كما فعل إبليس لم ينفعه إيمانه .

ـ المفتاح الخامس عشر :

المن بالعطية

ـ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴾ [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَ مِرَارًا ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ " [3] .

ـ والمنان : هو الذي يعطي شيئاً أو يتصدق به ثم يمن به .

---

[1] سورة البقرة : آية : ٣٤ .

[2] سورة البقرة : آية : ٢٦٤ .

[3] أخرجه مسلم .

ـ وقد سمع ابن سيرين رجلاً يقول لآخر : أحسنت إليك ، وفعلت وفعلت .

فقال له ابن سيرين : أسكت فلا خير في المعروف إذا أحصى .

ـ فالمن بالمعروف أخي المسلم : يبطل الشكر ، ويحبط الأجر .

ـ المفتاح الثاني عشر :

الخبب

ـ عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ خَبَّبَ عَلَى امْرِئٍ زَوْجَتَهُ ، أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا " [1] .

ـ " خَبَّبَ " : أي أفسد وخدع ، وأصله من الخبب وهو : الخداع والمكر والخبث .

ـ والمعنى الوارد في الحديث : ليس من أهل ديننا وملتنا : من أفسد على امرئ زوجته ، أو مملوكه .

ـ فيحرم على الإنسان أن يحدث خادم غيره ، أو ابنه ونحوهم بما يفسدهم به عليه ، إذا لم يكن ما يحدثهم به أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر .

---

[1] أخرجه أحمد بإسناد صحيح واللفظ له ، والبزار ، وابن حبان في صحيحه .

ـ وكذلك يحرم إفساد المرأة على زوجها .

وذلك : كأن يزين شخص لها : رجلاً آخر ، أو يزين لها نفسه ويغريها بالوعود والأماني حتى تعصي زوجها ، وتشاقق الزوج وتترفع عليه ، وتتهمه بتهم ملفقة ، وتخاصمه في المحاكم وتفضحه بين الملأ حتى يسأم من عشرتها ، ويفارقها بالطلاق وقد كثر هذا الفعل القبيح في هذا العصر المظلم ، المليء بالفجور والفسوق ، ومخالفة الله ورسوله ، فتجد كثيراً ممن قل حياؤه ونصيبه من الإيمان ، ونال حظاً وافراً من الجهل والطغيان يغري بعض النساء بجماله ، أو بماله ، فيقول بعضهم : لامرأة متزوجة أو لأهلها إن كان فلان أعطاكم ـ يخاطب أهلها ـ عشرة آلاف ، فأنا أعطيكم عشرين ألفا ، أو ثلاثين ألفاً ، وأبني لها بيتاً أو أعطيها حلياً من الذهب كثيراً ، ونحو ذلك من الكلمات المعسولة فيوسوس تارة إليها ، وتارة إلى ولي أمرها ، أو يرسل سمساراً خبيثاً يوسوس لها ويعدها ويمنيها حتى يقع الشقاق ثم الفراق ، وكم لهذا العمل القبيح من نتائج وخيمة ومفاسد عظيمة منها .

١ـ وقوع الطلاق .

٢ـ ضياع الأولاد .

٣ــ وقيام سوق النزاع من جديد بين المطلق وزوجته حول الأولاد المطلق يريد أولاده لديه ، وهي تريدهم لديها ، والعيال الصغار هم كبش الفداء ، وضحية هذا الشقاق والبلاء .

ومن تأمل هذه النتائج وغيرها ، عرف أن فاعل ذلك ظالم مجرم أتى كبيرة من الكبائر ، وأخرب بيتاً عامراً وجنى على الرجل وزوجته وأولاده ، وغرس شجاراً ونزاعاً مستمراً بين الزوج والزوجة ، وأقاربهما ، إن لم يكن أبداً فلابد أن يستديم زمناً طويلاً وهذه كلها مخالفات لله ولرسوله ، لأن الشريعة الإسلامية جاءت بالتوادد والتراحم والتعاطف بين المسلمين ، وحرمت القطيعة والتهاجر والنزاع والشقاق ، وهذا الظالم قد خالف الله ورسوله واتبع هواه ونفسه الأمارة ، فإذا كانت هذه المفاسد وأضعافها تنتج من فعل هذا الظالم فلا عجب أن تبرأ رسول الله ﷺ منه ، كما لا عجب إذا قرب إبليس من أولاده من سعى بين الزوجين حتى فرق بينه وبينها ، ويقول : نعم أنت ، فيمدحه ويثني عليه .

فقد ورد في الحديث عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ [1]

---

[1] سراياه : جنوده .

فَأَدْنَاهُمْ [1] مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً [2] يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهُ [3] وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ فَيَلْتَزِمُهُ [4] " [5] .

ــ ومثل ذلك في الإثم : من يأتي لمخطوبة ، أو لوليها ، فيوسوس إليها ، أو إليه ، ويملأهم بالوعود ، والكلمات المعسولة ، بأن سيعطيهم كذا وكذا حتى يتأثروا بكلامه ، أو وعوده والتزاماته ويردوا ذلك الخاطب .

أو يكون قد أعطاهم ذلك الخاطب مالاً أو حلياً ، فيردوا ماله أو حليه ، وهذا من الظلم ، وإيذاء المسلم ، وإلى ذلك الظالم هذين الحديثين الواردين عن النبي ﷺ :

ــ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لاَ يَبِعِ

---

[1] فأدناهم : فأقربهم درجة .

[2] فتنة : أي اغواء وافساد .

[3] فيدنيه منه : أي يقربه ، ويحظى به ويكرمه .

[4] فيلتزمه : أي يمدحه ويثني عليه .

[5] أخرجه مسلم .

الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ [1] وَلاَ يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ ، إِلاَّ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ " [2] .

ـ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ ، فَلاَ يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلاَ يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَذَرَ " [3] .

ـ فإذا كان البيع على البيع ، والشراء على الشراء ، والخطبة على الخطبة حراماً ، لأنه إيذاء ، ويورث النزاع والشجار بين المسلمين فمن باب أولى أن الافساد بين المرأة وزوجها يكون ذنباً كبيراً وإثماً عظيماً ، لا يشك في ذلك من يتصف بالعقل والحجى .

ـ ألا فليتق الله أولئك المخربون المفسدون بين الزوجين ، أو بين الخاطب ومخطوبته ، أو بين الإنسان وخادمه ، أو ابنه ، أو بين

---

[1] كأن يقول لمن اشترى سلعة ، أنت شريتها بعشرة ، وأنا أبيع عليك مثلها بثمانية أو بسبعة مثلاً ، حتى يرد السلعة لبائعها ، وهنا يقع النزاع والشجار ، وفيه من المفاسد ما لا يخفى ، ومثل ذلك الشراء على الشراء ، كأن يقول لصاحب سلعة : أنت بعت هذه السلعة بمائة جنية ، أنا اشتريتها منك بمائة وعشرين ، فعند ذلك إذا كان البائع قليل الإيمان بل وقليل الشرف فسرعان ما يتحيل على المشتري ويشاقق حتى يفسخ البيع ويبيع السلعة لمن أغراه .

[2] أخرجه مسلم .

[3] أخرجه مسلم .

البائع والمشتري ونحوهم .

وليعلموا أنهم ظلموا أنفسهم أولاً .

وظلموا الناس ثانياً .

وظلموا المجتمع ثالثاً .

وأنهم بذلك الفعل الشنيع يرثون المقت من الله ، ومن المجتمع فينظر إليهم بنظرة الازدراء والاحتقار ، ويسمهم بالفسق والفجور والخداع والتغرير ، وكل هذه الأمور من المحرمات ، ومن أنواع الظلم الذي لم يخف عاقبته على كل ذوى العقل والحجى .

ـ وأني أذكرهم بقول الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [1] .

ـ وقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ [2] . سُوءُ الدَّارِ : هي جهنم وبئس القرار .

---

[1] سورة البقرة : آية : ٢٧ .

[2] سورة الرعد : آية : ٢٥ .

النياحة

ـ من المنكرات العظيمة ما تقوم به بعض النساء من رفع الصوت بالصياح ، وندب الميت ، ولطم الوجه ، وكذلك شق الثوب وحلق الشعر أو شده وتقطيعه ، وكل ذلك يدل على عدم الرضا بالقضاء ، وعدم الصبر على المصيبة ، وقد لعن النبي ﷺ من فعل ذلك :

ـ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا ، وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا ، وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ [1] .

ـ وَعَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الْجُيُوبَ ، وَضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَدَعَا بِدَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ [2] " [3] .

ـ وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وَجِعَ

---

[1] أخرجه ابن ماجة وهو في صحيح الجامع ٥٠٦٨ .

[2] ودعا بدعوة الجاهلية : نحو واجملاه واكهفاه .

[3] أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

أَبُو مُوسَى وَجَعًا فَغُشِيَ عَلَيْهِ ، وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : " بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ ، وَالْحَالِقَةِ ، وَالشَّاقَّةِ " (١) .

ـ " الصَّالِقَةِ " : التي ترفع صوتها بالنياحة والندب .

ـ " وَالْحَالِقَةِ " : التي تحلق رأسها عند المصيبة .

ـ " وَالشَّاقَّةِ " : التي تشق ثوبها .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ (٢) وَالنِّيَاحَةُ (٣) عَلَى الْمَيِّتِ " (٤) .

ـ وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ " النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا ، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ (٥)

---

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أي : كفر نعمة أو كفر ضد الإسلام إن استحلا .

(٣) النياحة : هي رفع الصوت بالبكاء .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) السربال : القميص .

مِنْ قَطِرَانٍ [١] وَدِرْعٌ [٢] مِنْ جَرَبٍ [٣] " [٤] .

ـ المفتاح الثامن عشر :

التسمع إلى حديث قوم
وهم له كارهون

ـ قال الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَجَسَّسُوا** ﴾ [٥] .

ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ [٦] يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [٧] .

ـ فإذا كان ينقل حديثهم دون علمهم لإيقاع الضرر بهم ، فهو يضيف إلى إثم التجسس إثماً آخر بدخوله في قول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ " [٨] .

---

[١] القطران : هو النحاس المذاب .

[٢] درع : مستعار من درع الحديد وهي معروفة .

[٣] من جرب : داء معروف .

[٤] أخرجه مسلم .

[٥] سورة الحجرات : آية : ١٢ .

[٦] الآنك : هو الرصاص المذاب .

[٧] أخرجه البخاري .

[٨] أخرجه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه .